مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 01 السنة 2023 ص 434 - 450

تاريخ الإرسال: 2022/01/31 تاريخ القبول: 2023/01/17
تاريخ النشر: 2023/02/16

# العولمة و انزياح الهوية في الرواية الجزائرية
# Globalization and the displacement of identity in the Algerian novel

تحري ليلى [1]
جامعة الطارف (الجزائر)؛ Tahrileila82@gmail.com

**الملخص:**

يطرح خطاب الهوية نفسه كإحدى أهم الموضوعات الأكثر رواجا في العشرية الأخيرة في عالم ملغم بالنظريات السياسية والمقولات الإيديولوجية والحروب الثقافية التي تحول فيها الصراع من صراع سياسي إلى صراع ثقافي تؤطره العولمة ومقولات الحوار الثقافي التي روجت لها الأطروحات الفكرية التي شكلت عبر أنساقها المضمرة تهديدا للخصوصيات الثقافية، إنها التحديات العاصفة بالهوية التي تكشفت في أفق ثقافي يتجاوز المقولات المركزية، وفي ضوء تحولات الوجود الثقافي الذي تحياه الذات، وفي ظل مقاومة الاخر الذي ما انفك يمارس اليات الاستتباع والهيمنة على الهوامش، فضمن هذا التعديل الطارئ وانطلاقا من تصورات لا تختزل مفهوم الهوية كما تبلورت في التصورات التقليدية، بل في إطار ثقافي يستدعي مرجعيات الخطاب ما بعد الكولونيالي القائم على مقولات تتمحور في الانزياح الهوياتي، الهويات الرمادية كما أسماها إدوارد سعيد، تمجيد العيش في الفضاءات البينية والقول بامتياز المنفى، ففي هذا المنعطف الثقافي تكون الهوية التي مثلتها السرديات العربية الما بعد كولونيالية.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية، العولمة، الانزياح، المقاومة الثقافية، الرواية الجزائرية.

**Abstract:**

The identity discourse presents itself as one of the most popular topics in the last decade in a world awash with political theories, ideological statements and cultural wars in which the conflict has transformed from a political conflict to a cultural conflict framed by globalization and the categories of cultural dialogue promoted by intellectual theses that posed through their implicit forms a threat to cultural specificities. It is the stormy challenges of identity that unfolded on a cultural horizon that transcends the central categories and in light of the transformations of the cultural existence that the self lives in and in light of the resistance of the other who has been practicing the mechanisms of subjugation and domination on the margins. Within this emergency modification and based on perceptions that do not reduce the concept of identity as it crystallized in traditional perceptions. Rather, it is within a cultural framework that calls for the references of the post-colonial discourse based on categories centered on the displacement of identities, the gray identities, as Edward Said called them, the glorification of living in the interstitial spaces and the saying of the privilege of exile. In the context of this cultural turn, the identity represented by the Arab narratives. In the summary, the objective of the research and the results are indicated in two paragraphs.

**keywords:**

Identity, globalization, displacement, cultural resistance, the Algerian novel

**المؤلف المرسل: ليلى تحري، الإيميل:** Tahrileila82@gmail.com

## 1. مقدمة :

نشط الحديث عن الهوية في الفترة الأخيرة كإحدى أهم الموضوعات التي تصدرت الأجندة الثقافية في العالم، ولئن طرح سؤال الهوية بذلك الإلحاح في هذه الفترة فلأنه ارتبط بظاهرة كونية عاصرها العالم وهي ظاهرة العولمة التي باتت شبحا تطارد الهوية و خصوصية المجتمعات العربية، و تسعى بآلياتها لطمس الثوابت والمطلقات وتسويق الإنسان في مرحلة أهم ما يميزها انهيار المطلقات وتجاوز الإكراهات التي تسعى العولمة إلى شرعنتها.

في ظل هذا الواقع الكوني الذي تؤطره العولمة كان التساؤل حول مصير الهويات، إذ أننا بتنا أمام جدليتي الخصوصي والكوني التي طرحت من منطلق اعتبارات إيديولوجية ضمن مناخ صراعي تسعى فيه العولمة بميكانيزماتها لإهدار الهويات الوطنية والقومية، وفي هذا السياق الثقافي الموسوم بالانزياح تنخرط السرديات لتصوغ خطابا تشخص فيه رحلة الذات صوب الاخر بفعل العولمة التي عملت على تغيير خارطة الوجود وتفجير ألغام الهوية، فكانت مرحلة حرجة في التاريخ العربي، فإما الاستسلام وتبني المشروع الحضاري الغربي والتسليم بسلطته التي تقضي بالتضحية بالموروث الثقافي والخصوصية الثقافية، وإما التمسك بالمرجعيات الثقافية والعيش في قواقع الهوية،هي فترة حرجة محكومة بمناخ من التوتر كشف وبعمق عن تورط الخطابات السياسية والنظريات الغربية المستوردة ودورها في إرباك المنظومة الهوياتية .

**2. مرجعيات الانزياح الهوياتي:**

تعدّ العولمة من أكثر المصطلحات حضورا وتداولا في الألفية الأخيرة، شكلت أرضا خصبة للحوار والنقاش وتضارب الآراء بين عموم المشتغلين في حقل الاقتصاد، السياسة، الثقافة، خاصة تلك التي باتت في تعارض تام مع موجة الاكتساح العولمي التي تفرض انسلاخ الأمم والشعوب عن خصوصياتها الثقافية في

إطار ما يمكن أن نطلق عليه بالاعتداء واغتصاب الرأسمال الثقافي للشعوب الخاضعة، وبالتالي فإن أي حديث عن العولمة يستدعي استحضار الهوية والبحث عن مكان لها وسط هذا الغزو الكاسح الذي يسعى لسلب الشعوب من تضاريسها الثقافية، "إنه الفخ الذي يعني إيهام الشعوب على المستوى العالمي بوجوب الانتماء إلى ثقافة عالمية واحدة وطمس الفروق الحضارية بين المجتمعات مع الإيمان بأن الثقافة العالمية يجب أن تستمد من الثقافة الغربية المركزية المهيمنة، باعتبارها القاعدة الأهم و الأكثر تأثيرا للمشروع الثقافي العولمي "[1]

إننا نحن العرب نقف أمام منجزات استهلاكية غربية يحاول العقل العربي التمرس بها، وبالتالي يثير سؤال العولمة العديد من الإشكاليات المطروحة في فضاء عربي لطالما عرف بفكر الثوابت والمتعاليات، وأمام هذا النسق الثقافي المتمكن والثابت في الذهنية العربية، والذي يسعى لمجابهة النسق الاخر/ الجديد الذي تمثله العولمة الساعية لتحريك الثابت واختراق المتعالي باسم الكوني، وجب التفطن للسياسة الإيديولوجية التي تعمل في إطارها العولمة " ذلك أن العولمة فخ نُصب لاصطياد المجتمعات المهزومة حضاريا والمقهورة ذاتيا ولا تملك أية مقاومة إلا الدخول في المصيدة والخضوع لإرادة الصياد، واصطياد المجتمعات التي استيقظ فيها الوعي لإثبات وجودها فأبدت إرادة المقاومة والدفاع عن كيانها وهويتها "[2]

لقد انتقل العالم بتلك الصورة من استعمار سياسي عسكري إلى استعمار ثقافي غير قناعه تحت مسمى جديد واستطاع أن يخلق آليات جديدة للهيمنة الإيديولوجية والثقافية التي تحركها كبرى الدول في إطار ثوب العولمة وحوار الحضارات، العولمة التي تعدّ دورة من دورات التواريخ الاستعمارية المتعاقبة، والتي أضحت تشكل تهديدا واضحا للوجود العربي في هويته ورأسماله الثقافي " فظهور العولمة جاء نتيجة لمؤامرة معقدة وعميقة ومتجذرة ضمن انحدارات تاريخية وإيديولوجية "[3]

وبالعودة قليلا إلى تواريخ الأمة العربية، نثبت أن نضال الأمم والشعوب من أجل التحرر يندرج في إطار النضال من أجل تشكيل الهوية، وبالتالي القول برفض العولمة والهيمنة باعتبارها مساسا بالمقومات التي عملت الأمم على الحفاظ عليها كما أن القول بضرورة خضوع الشعوب لهذا التيار الجارف باسم العالمية يدفع للكشف عن آليات الاستتباع والاستعباد التي تعمل في ظلها العولمة المدعومة من طرف الغرب المتمركز وتحديدا أمريكا التي تسعى لبث سمومها للشعوب النامية وشعوب العالم العربي والإسلامي.

**3. عنف الهوية و تجاذبات الما بين في الرواية الجزائرية:**

لا تكاد الرواية الجزائرية تفارق عبر تنوع موضوعاتها و امتداد نصوصها تناولا لموضوع الهوية، ولعل هذا الانخراط في ذلك الموضوع أضحى قدر الرواية ما بعد الكولونيالية التي مثلت حافزا مركزيا لتبلور سرديات الهوية والمقاومة الثقافية في الثقافة العربية ، وفي هذا السياق شكلت نصوص جزائرية علامات فارقة لتحدي ما اصطلح عليه بالاغتصاب الثقافي الذي أحدثته العولمة، لكن رغم ذلك المنظور الذي راهن على الية المقاومة الثقافية إلا أن عملية الأسلبة التي خلفتها المقولات الغربية ما تزال تمارس انتهاكاتها الأنطولوجية على الذات في هيأة تمثيل مشروخ يعاد فيه تمثيل الذات على مسافة تتلبس بأشكال الغرابة والتشظي.

وقد كشفت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" **لعمارة لخوص** عن أولى بذور الانزياح الهوياتي بفعل عولمة تسعى لاختراق الثوابت عن طريق تغيير الاسم، فقد بات البطل عالقا بين الانتماء أو اللاانتماء للثقافة / الهوية الأصل فتتشكل الهوية المنزاحة لذات هشة محكومة بالصراع الداخلي، وهو ما جاء على لسان البطل :

"قرأت هذا المساء في مجلة " إسبرسيتو " مقالا لعالم نفس ينصح بتغيير الأسماء من حين لآخر لأن ذلك يسمح بخلق نوع من التوازن بين الشخصيات المتعددة التي تتنازع كل واحد منا، قال إن تغيير الاسم يساعد على العيش أفضل لأنه يخفف من أعباء الذاكرة ، إذا أنا في مأمن من انفصام الشخصية بسبب اسمي الإيطالي، لا ضرر من أميديو لكن هل هناك نزاع صامت بين أميديو وأحمد؟"[4]

إنه البطل أحمد / أميديو العالق بين فضاءين، بين ذاكرتين، متأرجحا بين الانتماء للأصل أو الانتماء للآخر ، هذا التشظي دعمته العولمة التي تقضي بانزياح الهوية، عولمة الأسماء وعولمة الطعام واللباس وهو ما جاء على لسان البطل أميديو:

"فقد صرت من المؤمنين المتعصبين بالثالثوث المقدس كابوتشينو و كورنيتو والكوريري دي لاسيرا أحب كثيرا الكورنيتو وهو مثل كرواسون محشو بالعسل أو المربى أو القشطة ، علاقتي بكابوتشينو هي علاقة السيارة بالبنزين "[5]

لقد حدث التحول والانزياح في هوية البطل فأضحت هي التي تأكل الطعام الإيطالي: الكورنيتو والبيتزا، وتتحدث الإيطالية ،هي كلها علامات نسقية رئيسة تغدو في نهاية الأمر معادلا موضوعيا لمحنة الهوية التي تظللت بمظلة العولمة .

ففي هذا المسار الانزياحي أسست الرواية لتلك الخطابات الانزياحية التي اجتاحت البطل من تغيير للاسم، ومن إقبال على الطعام الإيطالي، تغير تشكل بفعل الاخر حتى يستطيع البطل الاندماج في المجتمع الإيطالي و التواصل مع همومه وتطلعاته.

لقد صنع الانزياح عن الهوية/ الأصل صراعا داخليا في نفس البطل : الصراع بين هوية أصلية وأخرى مكتسبة، وجد نفسه مكرها على تأكيد انتمائه الجديد لتلك الهوية ما خلق في نفسه اضطرابا داخليا :

"من أنا أحمد أم أميديو ؟ أه يا بهجة هل من سعادة بعيدا عن ابتسامتك ؟ هل من راحة بعيدا عن حضنك ؟ هل حان وقت الاستراحة ؟ إلى متى سيدوم المنفى إلى متى سيدوم العواء؟[6]

هي صورة من صور الانزياح في الهوية التي صنعها الاسم الذي شكل رمزا من رموز الهوية، أحمد هو الاسم المرتبط بمرجعيات تاريخية ودينية فهو اسم الرسول عليه الصلاة والسلام، أفضل الأسماء يرتحل من فضاء الأنا إلى فضاء الآخر باسم أميديو ليحيل ذلك التحول إلى الضغط الممارس على الهوية العربية الإسلامية فالعيش في فضاء الاخر يملي الانتقال من الثابت إلى المتغير، ويرتهن بتذويت الأنا وتحويلها إلى آخر لا يشبهها، ليتشكل الكيان الجديد الخاضع لنسق المركز الأوروبي والمحكوم بضوابط ثقافية تملي إرادة التغيير، لكنها في الوقت نفسه ضوابط لا تولد سوى الالتباس، فمن أنا ؟ هو السؤال الذي يؤسس لانشطار الهوية عند أحمد/ أميديو، ليتولد الصراع بين تلك الذات التاريخية المرتبطة بمرجعيات دينية ووطنية، وبين الذات الثقافية الجديدة التي تعاني من عنف المنفى .

ولم تخرج "أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج عن الانزياح الهوياتي الذي صنعه مجتمع العولمة، فكان الترحل عبر الاسم من نوة الجزائر إلى لوليتا باريس :

"همس في أذنها ليختبر نومها

كيفك الآن حبيبتي نوة

تمتمت بصعوبة

مليحة، نادني لوليتا، مشبعة بك وبها الآن"[7]

هوية جزائرية عربية واسم أصيل قبل أن يستجيب لمعطيات التغيير و الانجذاب نحو الآخر، وينفتح على جرعات إضافية من الذوبان في نسيجه، فكان تمثيلا لسؤال الذات / الهوية المتشرب بدلالات الوقوع و لوعة السقوط في فخاخ الاخر، وبقدر ما

عبر الاسم عن مدارات الارتحال من الوطن التاريخي إلى الوطن الثقافي، فقد كان أيضا مراجعة نقدية تجاه الهوية والمجتمع والثقافة تنحو نحو تقويض سلطة المرجع/ الماضي والتأسيس لحاضر قائم على أساس الحرية في صنع الهوية :

"كان والدها يريد لها اسما عربيا أصيلا نوة .. دلالة على الغيث والخير، لأنها ولدت في صباح ممطر بعد طول جفاف .. ثم اسمها يصلح للغناء عند استجداء السماء الجافة .. نوة يا نويوة .. غطيني بكسيوة .. غني لي غنيوة.. وأمها كانت تريد لها اسما بربريا أصيلا به رائحة جبال أجدادها الأوائل ، لهذا أصرت على أنزار"[8]

لم ترتض لوليتا الرضوخ لنسق السلطة الأبوية فاختارت لنفسها اسم لوليتا / لالو لتنتهي إلى محصلة تؤكد ثورة الأنثى / المرأة على كل سلطة من شأنها تعطيل برنامجها مستبدلة بذلك الاسم انتماء جديدا، دفاعا عن مبادئ التحرر التي تؤمن بها.

ولم يكن الانزياح عن الاسم وحده المتمحور في الرواية وإنما نقف عند الانزياح عن الأوطان ، غربة الأوطان تتدعم من طرف الشخوص الروائية التي وجدت نفسها مقذوفة خارج المكان ، هويات تأسست على الحدود بسبب الهجرة في زمن التهجين الثقافي، ليغدو الانزياح عن الوطن / الأصل هو المؤسس لآلية التفاعل والاندماج في الفضاءات الجديدة، وإن كان التفاعل والاندماج لا يظهر إلا من خلال شخصية أميديو في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" الداعية إلى التحرر من قيود الهوية " فأنا ابن السبيل "[9] هي العبارة التي أسست لتلك الهويات الهجينة التي طرحتها نصوص تراهن على الهجنة الثقافية والعيش في الفضاءات البينية في محاولة من الروائي انتهاك الحدود وتوليد تلك الفضاءات البينية التي تحدث عنها **هومي ك بابا** "فموقع الثقافة لا يقع في لباب نقي من التراث بل على حواف التماس بين الحضارات حيث تنطلق بينية وهجنة وهويات جديدة "[10]

لقد كرس **هومي ك بابا**"**Homi K Bhabha**" جهوده للاحتفاء بعالم الهجنة والعيش على الحدود، حيث الانفتاح والتداخل ومن تلك النقطة نقطة التماس والفضاءات البينية تتبع الية مقاومة المركز وتفكيك خطابه .

لقد تفجرت أزمة الهوية بفعل عولمة تسعى لإبادة الخصوصيات الثقافية، فما كان على الشعوب إلا أن تقابل ذلك الاكتساح بلغة المقاومة والمجابهة كشأن كل آلية من اليات الرد النسقي المستند إلى الجذور في مواجهة الطارئ والدخيل، وذلك نتيجة إحساس الفئات الاجتماعية بالخطر والتهديد في أصولها وثوابتها، لكن لا ينهض مشروع المقاومة الذي راهنت عليه الرواية ما بعد الكولونيالية على أساس الانغلاق وممارسة فكر الوصاية على الهوية، وإنما يقوم على الانفتاح وحوار الذات مع الآخر مع الاحتفاظ ببعض الهامش الذي يحفظ الخصوصيات الثقافية، ففي سياق هذه الاجراءات التحويلية التي اقترحها رواد النظرية ما بعد الكولونيالية تتم إزاحة الرؤى والتصورات التي تحكمت في تشكيل وعي الذات بالآخر.

**4. الذاكرة و تعطيل ايديولوجيا الهيمنة الثقافية:**

وتأسيسا لتلك الرؤية المنهجية تتحرك استراتيجية المقاومة في نص" **كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك** " عن طريق الذاكرة التي شكلت وعي الذات بعزلتها المتناهية وإغراقها في صمت الداخل، ففيما يحضر الحاضر كزمان مأهول بالتواصل والاندماج، يحضر الماضي كبحث لتحرير الذات من سطوة و عبء ذلك الحاضر الذي عمل على تشظيها، إنها العودة إلى زمن البدايات بالتحرر من سلطة النسق الذي فرض التواصل، لتأتي الذاكرة و تعطل عبر الاحتماء بها كل آلية من آليات الحاضر الذي عمل على انزياحات الهوية، فكانت بذلك ( الذاكرة) تعويضا لصورة الاستيلاب التي تحياها الشخوص الروائية وهو ما جاء على لسان أحمد/ أميديو وهو يحن ويرجع بذاكرته إلى صيام شهر رمضان في الجزائر، في حيه :

" ما أقسى أن تصوم رمضان في روما بعيدا عن البهجة ،ما الفائدة من الامتناع عن الأكل والشرب ثم الأكل وحيدا ،أين صوت المؤذن ؟ أين البوراك ؟ أين الكسكس الذي تعدّه الأم بيديها ؟ أين قلب اللوز ؟ أين الزلابية ؟ أين الحريرة ؟ أين المقروط ؟ كيف أنسى سهرات رمضان في الأحياء الشعبية والعودة إلى البيت في وقت متأخر من الليل ؟ أين صوت الوالدة المحمل بالحنان والحب الذي يغازل أذنك ؟ هذا وقت السحور يا وليدي "[11]

فرغم الأحداث الدامية التي شهدها أحمد / أميديو في وطنه والتي أجبرته على الهجرة وخلخلت علاقته بوطنه إلا أن الجزائر بقيت تحضر، بقيت معبرا إلى كل مهاجر غادرها قسرا ،هي ذكرى براقة تراود أبناءها حيث يحس المرء أنه ينتمي و لا ينتمي إليها، ولا خيار له إلا العبور إليها عن طريق الذاكرة " التي تجعل الإنسان، أي إنسان أقرب إلى الاستسلام ومسكونا بالماضي وناسه"[12]

وقد لجأ البطل : أحمد /أميديو إلى استعادة صورة الوطن بمزيج من الذكرى التي رسمت ملامح مفصلة عن الشهر الفضيل بأطباقه وسهراته، وعبر تنائيتي الحاضر /الذاكرة تتجلى الهويات القلقة بين ماضي تشكله بهجة والوطن، والحاضر الذي تشكله إيطاليا بما هي نسق ثقافي متجذر في وجدان الجزائريين (الحرقة) – فكانت بذلك– إيطاليا – صورة لمكان ممتلئ بذكريات أولئك المهاجرين الذين تتماوج الذكرى في أنفسهم لإعادة تركيب العوالم/ الأصلية التي توارت عن أنظارهم .

إننا نقع بين ثنائيتي الهوية والمغايرة، إذ ينتج التماثل في الهوية عبر التشارك في المعتقدات والعادات، في حين ينتج الاختلاف عبر التعايش الواقعي مع الثقافة الإيطالية و إبراز التفاصيل الصغيرة من طعام وطقوس اجتماعية باعتبارها رموزا دامغة للهوية أو لنقل مشروع استعادة الهوية / الأصالة، حيث عملت الذاكرة على وصل الأنا بأناها في زمن الشتات و المتاهة .

في إطار تلك الانزياحات التي أحدثتها العولمة و في إطار لغة المقاومة للحفاظ على الخصوصيات الثقافية نطرح التساؤل الذي مفاده :هل العولمة اشتباك مع الاخر أم أنها حوار و تفاهم معه؟ وهل هي مشروع تحريري أم أنها تندرج ضمن المشاريع الاستعمارية؟

نحن نعلم جيدا أننا أمام لعبة خطيرة من ألاعيب الغرب الذي ما انفك فيها يدس الدسائس والسموم للشعوب العربية الإسلامية خاصة، إننا أمام خطر التنميط و أمام لحظة من اللحظات الحرجة في تاريخ الثقافة العربية التي تتولى قتل نفسها بسلاح الاستيراد لمنتجات الغرب ولفكره، هو الغزو الثقافي الذي يسعى لتكريس إيديولوجيا الهيمنة والتبعية الداعمة للإمبريالية الغربية، "فنحن نواجه خطر التنميط ومحاولة الإلحاق القسري بدول المتربول الغربي عن طريق خلق مرتكزات ثقافية عالمية المظهر، غربية المنطلق تدعم الإمبرالية وتبرر نظامها القائم على غطرسة القوة وشهوة الاغتصاب"[13]

وبالتالي فنحن بحاجة إلى إثبات الخصوصيات الثقافية باسم التمسك بالأصول والثوابت وفضح العولمة وخطابها النخبوي و الاستعلائي الذي يحاول تحطيم الهويات والسير نحو التفتت والذوبان لتغدو العولمة حسب **الجابري** نفي للأخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي "[14]

إن فضح وتعرية الاخر لن يكون بممارسة فكر الوصاية على الهوية والانطواء على الذات و التفجع بخطاب العولمة، و إنما ينطلق من أهمية الوعي النقدي بالأخر والدخول في حوار معه، وهو الأمر الذي نهضت به النظرية ما بعد الاستعمارية التي طرحت بدائل تسعى فيها لتفكيك النظرية الغربية وتفكيك التمركز الغربي الذي نسبه الغرب لنفسه وإعادة كتابة التواريخ من منطلق الذات المهمشة واسترداد التابع لصوته "هذا التعديل أدى إلى صياغة بدائل مغايرة راديكالية حول الإبستمولوجيا ومجالات

التاريخ والهوية والثقافة والتراث، مؤسسة على خبرات جديدة يعاد نقشها وتعيينها في سياق الاختلاف عن المركز"

ففي سياق هذه الاجراءات التحويلية التي اقترحها رواد النظرية ما بعد الكولونيالية تتم إزاحة الرؤى والتصورات التي تحكمت في تشكيل وعي الذات بالآخر.

**5. العولمة و التمرس بمعطيات العقل التواصلي:**

إن الحديث عن العقل التواصلي يحيلنا إلى **يورغن هابرماس** الذي عمل على إعادة بناء العقلانية الحديثة إلى عقلانية تواصلية تستند إلى العقل التواصلي القائم على تجديد العلاقات بين النظرية والواقع، وبين العلم والعمل، وبالتالي بلورة عقل كوني، في الوقت الذي سعت فيه نظريات الصدام الثقافي برسم الحدود الثقافية بين الذات والآخر بدرجات متفاوتة عززت مكانة الذات وهمشت الآخر انطلاقا من فروقات ثقافية غذت الأنماط الاستعمارية ،فكانت إساءة تمثيل لواقع قائم على مغالطات تم بسطها في شكل هويات متعارضة، لكن رغم ذلك التعارض والصدام ورغم الاختلاف الثقافي إلا أنه على الإنسان أن يدرك ضرورة التعايش والحوار، وذلك بالتركيز على البعد الأخلاقي الذي يمنح الذات خصوصيتها وتميزها؛ فسؤال اللحظة يحتم علينا – نحن العرب – مسايرة ركب العولمة باعتبارها حتمية تاريخية لابد منها" فالأجدى للشعوب النامية والفقيرة اللحاق بالركب العالمي قبل أن يتم فرض العولمة قسرا على المجتمعات "[15]

إن ما يحتاجه الأنا العربي هو الخروج من الاختزالية وعدم مقاضاة الغرب/ العولمة باعتبارها غزوا مقنعا لاستعمار جديد دون تقصي المعرفة ووضعها في سياقاتها التاريخية ، فكما للعولمة سلبيات، فإنها لا تخلو بدورها من الإيجابيات التي لا يمكن تجاهلها "فالعولمة ليست لعنة وهي هدية من الغرب للعالم "[16]على حد تعبير" أمارتيا صن" و بالتالي فقد بات من الضروري البحث عن مقاربة وسطية

تعمل بعيدا عن التفجع بالعولمة و بعيدا عن خطابات المناهضة للغرب ، وفي الوقت نفسه تعمل في إطار التفطن و محاولة فهم الظاهرة من خلال التركيز على النوايا المضمرة التي تغلفها .

وقد أسس **عمارة لخوص** في روايته "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لحتمية العبور لتلك الهويات الهجينة بهدف تخليده لذاكرة جمالية مشتركة تشترك فيها شعوب العالم و ينعدم فيها سوء الفهم الذي طبع العلاقة بين الأنا والآخر، فقد استطاع من خلال تجربته الشخصية اصطناع تلك الفضاءات البينية تمجيدا لسرديات العبور وخروجا من أسر الهوية الوطنية باستعارة أسلوب استحضار الثقافات و البحث عن التعايش من منطلق التطور الثقافي و الانفتاح على الآخر، فعمل بذلك من خلال ثقافة الهجنة على نفي كل مشروع من شأنه تجميد الهوية ، في محاولة منه قراءة التاريخ الإنساني عبر التداخل و الانفتاح اللغوي وهو ما جاء على لسان زوجة أميديو: "أعرف أن أميديو يتقن الإيطالية أحسن من الإيطاليين الفضل يرجع إلى إرادته و فضوله ،لم ألعب دورا كبيرا في هذه المعجزة التي تنسب إلي عادة ، أميديو عصامي يكفي أن تعرفوا أنه كان يسمي قاموس زينغارلي بالمرضعة ،كان بالفعل كالرضيع الذي يتغذى من حليب أمه مرات في اليوم ،كان يقرأ بصوت مرتفع ليحسن قراءته ولا يتضايق عندما كنت أنبهه إلى بعض الأخطاء في النطق ،كان لا يمل من مراجعة القاموس لفهم الكلمات الصعبة ،كان بالفعل يرضع من الإيطالية كل يوم "[17]

عبر هذا الأفق الإنساني الذي نهضت به رواية عمارة لخوص في سياق تمجيد سرديات العبور للهويات الهجينة، كان واسيني الأعرج بدوره قد راهن كغيره من الكتاب ما بعد الكولونياليين على مشروع الهجنة في الرواية ما بعد الكولونيالية، فلم تخرج " **أصابع لوليتا**" عن الدعوة للحوار الثقافي العالمي و الاحتفاء بعوالم الهجنة

والتداخل في محاولة من الروائي الخروج من سجن الهوية الضيقة و مد جسور التواصل بين الهويات و العقائد والانتماءات ( اللغوية ، العرقية ، الدينية) أملا في تحقيق حلم التواصل و التحرر، فكان خطاب الهجنة الية من اليات العبور لاحتضان الثقافات ،عمل من خلاله المبدع على إخراج النص الروائي من القلعة الأبوية ليعانقه على فضاءات الحرية تأسيسا لحوار ثقافي بين الثقافات و الحضارات و الأديان وهو ما جاء على لسان البطل يونس مارينا في حوار مع نوة / لوليتا حول التسامح الديني :

"مشكلتي ليست مع الأديان و لكن مع بشر يلبسون هذه الأديان كما يشتهونها و يفرضون علينا الشكل الذي ارتضوه لها، ولهذا لا يخلو أي دين أيضا من الشياطين والقتلة ، يكاد ذلك يكون هو قانون الحياة"[18]

وتستمر ذروة التسامح الديني عند بطل **واسيني الأعرج** في هذا المقطع الذي جاء على لسان يونس مارينا:

"ما يهمني في سيدنا المسيح ليس الدين فهو خيار شخصي لكن في كونه علامة لجرح هذه الدنيا القاسية، قوته التي خلدته في الذاكرة الدينية هي تسامحه مع قتلته"[19]

فعبر آلية الحوار والتسامح الديني والثقافي استطاع الكاتب أن يخرج نصه من أطر المؤسسة السلطوية المحتكرة إلى فضاءات الكتابة العالمية القائمة على الهجنة والتنوع لتغدو تلك الحركة الحوارية عملا مقصودا في الكتابة الأدبية ووعيا نقديا بضرورة إخراج النص الأدبي من حصون القلعة الكلاسيكية التي كان يحيا في ظلها " فكل رواية في كليتها من وجهة نظر اللغة و الوعي اللساني المستثمرين فيها هي هجين ، لكن يتحتم أن نؤكد مرة أخرى إنه هجين قصدي وواع منظم أدبيا وليس مطلقا مزيجا معتما و اليا من اللغات... إن موضوع التهجين الروائي القصدي هو تشخيص أدبي للغة [20]

فمن منطلق التداخل الذي يقضي باحترام خصوصيات الشعوب تصير العلاقة بالعولمة ليست حربا كلها ،فمن العولمة ما نحن بحاجة إليه و بالتالي فالعولمة التي نحتاجها هي العولمة التي تتكئ على الحوار الفعال و العلاقات المتبادلة بعيدا عن التشويهات الثقافية التي تلحقها على هوية الشعوب.

**6. خاتمة:**

في إطار المد الجارف الذي تعولم فيه الهويات وجب إعادة النظر في مفهوم الهوية والخصوصية الثقافية لا كجوهر ثابت ومتعالي بل كوجود وكصيرورة تتأثر بتاريخ التحولات التي تحياها الذات.

إننا في سياق زمن يتسم بكونية الثقافات كمنجز إنساني ترنو له جميع الشعوب في ظل مقولات العولمة والحوار شئنا أم أبينا لا بد لنا من تطويع الخصوصيات الثقافية لصالح الثقافة الكونية، مع التفطن للمخططات الغربية واليات الاستتباع التي يمارسها الغرب، حيث يجرى إعادة صوغ المفاهيم بما يتناسب ومراكز السيطرة .

في إطار التحولات التي يحياها العالم في زمن العولمة والتهجين الثقافي وجب اتباع سياسة جديدة للهوية قائمة على أساس التداخل والاعتراف بالتعدد والتنوع وتجاوز الثوابت والتأسيس لمتغيرات تتجاوز النواميس لبناء ذاكرة ثقافية إنسانية تتحاور فيها العرقيات والأجناس واللغات، فما أحوجنا إلى ذلك النسق الذي يتمرد على الأشكال الثابتة ويقوض المبادئ السائدة مجسدا فكرة الهجنة و الاختلاط من أجل بناء عالم جديد على مبادئ منفتحة تجنبا للحروب والأزمات.

كشفت رواية عمارة لخوص عن خطاب إيديولوجي قائم على الصراع النسقي بين الهوية والغيرية والذي تؤطره هويات تعيش في فضاءات غربية تتطلع إلى الحوار فرغم محاولة استنبات الذات في فضاء الاخر إلا أن المحاولة مستحيلة،

فكانت رمزية المصعد الذي لعب دورا رئيسا في الرواية للدلالة على تصعيد الصدام بين الذات والآخر.

قدمت النصوص الروائية المشار إليها في التحليل منظورا ثقافيا قائما على أنسنة العلاقات بين الثقافات، عبرت عنه الشخوص الروائية في محاولة لتطويع العلاقات بين الذات والآخر والتحرر من ثقل الإقامة الدائمة، فكانت هويات منفتحة تتعايش بطقوسها وتراثاتها وثقافاتها في زمن العيش المشترك لتتحرر بذلك من سلطة المركز.

شيد العالم الروائي لكل من عمارة لخوص وواسيني الأعرج لسردية المهجرين معبرا عن إعادة صوغ الهوية الدرامية المكتظة بالتناقضات في محاولة لتقويض التمركز الثقافي حول الهوية والتأسيس لعالم العبور الثقافي بين الجغرافيات.

**7. الهوامش والمراجع**

**1.** كمال الدين عبد الغني المرسي: الخروج من فخ العولمة ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ،ط1، 2002،ص 18

**2.** هانس بيتر مارتن ، هارادشومان :" فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة عدنان عباس علي ، عالم المعرفة،1998،ص11

**3.** علي براجل: العولمة و إشكالية التربية في العالم العربي و الإسلامي ، مجلة عالم التربية عدد 17، ص 322

**4.** عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات الاختلاف، الجزائر،2006 ،ص113

**5.** المصدر نفسه :ص 150

**6.** المصدر نفسه: ص 113

**7.** واسيني الأعرج: أصابع لوليتا ،دار الاداب، بيروت، ط2012،1، ص175

**8.** المصدر نفسه، ص113

**9.** واسيني الأعرج: أصابع لوليتا ،دار الاداب،بيروت،ط2012،1، ص175

**10.** هومي ك بابا :موقع الثقافة، ترجمة : ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2006 ،ص11

**11.** عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك،ص138

**12.** عبد الله ابراهيم : السرد و الاعتراف و الهوية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،ط1،2011، ص63

**13.** صلاح السروي: المثاقفة و سؤال الهوية: مساهمة في نظرية الأدب المقارن www.m.ehewar .org

**14.** محمد عابد الجابري: العرب و العولمة، دراسات : ضمن الأطروحة الخامسة، كتاب العولمة و الهوية الثقافية، عشر أطروحات falsafiat ahlamontada net

**15.** محمد بوعزة: سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات ضفاف، الاختلاف،الجزائر،بيروت،ط1 ،2014،ص49

**16.** كمال الدين عبد الغني المرسي: الخروج من فخ العولمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط1،2002 ،ص25،26

**17.** عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك،ص119،120

**18.** واسيني الأعرج: أصابع لوليتا،ص151

**19.** المصدر نفسه: ص150

**20.** ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987،ص25